

٣ - تركيا

للأستاذ أبو الفتح عطيفة

مؤتمر برلين ١٨٧٨

لا أستطيع أن أتحدث عن تركيا دون أن أشير إلى أهمية مؤتمر برلين وأثره في تاريخ تركيا وفي السياسة الدولية العالمية فإن هذا المؤتمر يعتبر مقترق الطرق في السياسة الأوروبية الحديثة بل وفي السياسة العالمية

وقبل أن أتحدث عن هذا المؤتمر يحسن بي أن أصف الظروف الدولية التي أدت إلى انعقاده

في ١٨٧٥ قامت الثورة ضد الحكم التركي ومظالمه في ولايتي البوسنة والهرسك ، وسرعان ما اشتملت نيران الثورة في جميع أنحاء البلقان في بلغاريا وفي الصرب وفي الجبل الأسود وفي رومانيا ، وقام التتال بين الأتراك وبين شعوب البلقان

وإذا عطت شعوب البلقان اضطربت أوروبا فإن شبه الجزيرة هذه تعتبر مخزن البارود في أوروبا ، ولذا سرعان ما تدخلت الدول ؛

تقدم السكوت أندراس وزير النمسا باقتراحات لإنهاء الثورة قبلها السلطان ورفضها الثوار ، وعقدت الدول مؤتمر القسطنطينية

١٨٧٧ لحل المشكلة ، ولكن السلطان فاجأ الدول فأعلن الدستور وبمقتضاه أصبح أمر الحكم متروكا للشعوب ، وأعلن أن الدول

بمقتضى معاهدة باريس ١٨٥٦ لا يحق لها أن تتدخل في شؤون تركيا الداخلية ، وانقض المؤتمر ولكن الثورة زادت اشتعالا

وأخيرا جاءت روسيا لمساعدة شعوب البلقان ولتحقيق مآربها ، فأعلنت الحرب على تركيا ١٨٧٧ وتقدمت جيوشها حتى

وقفت على أبواب القسطنطينية في يناير ١٨٧٨ ، وحينئذ طلب السلطان الصلح وأمرت إنجلترا أسطولها في الوقت نفسه بالتقدم

إلى مياه القسطنطينية وبضرب الروس إذا حدثتهم أنفسهم بدخول القسطنطينية

وأمام الهزيمة اضطر السلطان أن يقبل ما عرضته عليه روسيا وأن يوقع معاهدة سان ستفانو في مارس ١٨٧٨ وعملت هذه

المعاهدة تقرر أن تستقل رومانيا والصرب والجبل الأسود استقلالاً تاماً وأن تمنح البوسنة والهرسك استقلالاً إدارياً وأن تأخذ روسيا باطوم وقارص وإرزن وأن تنشأ بلغاريا العظمى التي كانت حدودها تمتد من البحر الأسود إلى بحر إيجه ومنه إلى البحر الأبيض . وكان مفروضاً أن بلغاريا العظمى هذه ستقع تحت حماية روسيا وبذلك يتحقق الحلم الروسي وهو الوصول إلى البحر الأبيض

لكن الدول وخاصة إنجلترا تارتت ضد هذه المعاهدة التي تمنع البلقان تحت حماية روسيا وطلبت عرض المعاهدة على مؤتمر يبرض في برلين

وقد اجتمع هذا المؤتمر في برلين في يوليو ١٨٧٨ تحت رئاسة

بسمارك منسئ ألمانيا الحديثة ورئيس وزرائها إذ ذاك وكبير دهاء

السياسة وقطب السياسة الدولية حتى إن الفترة من ١٨٧٠ - ١٨٩٠

تسمى بعصر بسمارك . وقد عبر بسمارك عن السياسة التي اتهجها بقوله (لقد كنت سمساراً شريفاً) . صحيح أن ألمانيا لم تأخذ

لنفسها شيئاً ولكنها أعطت ومنعت وأرضت وأغضبت فأثارت الشحنة والبنغناء وأقامت الصداقات مما جعل هذا المؤتمر بحق

مقترق الطرق في السياسة الدولية أخذت النمسا البوسنة والهرسك فرضيت وتوطدت صداقتها

مع ألمانيا لأن انداد النمساوى كان أعلى من الدم الروسي ، وغضبت روسيا وكان ذلك تمهيداً لانسحابها من تحالفها مع النمسا وألمانيا

وقيام التحالف بينها وبين فرنسا ثم إنجلترا فيما بعد وأما إنجلترا فقد حققت ما كانت ترنو إليه إذ قضى المؤتمر

على بلغاريا العظمى فأعيدت ممدونيا إلى تركيا وبذلك حرمت بلغاريا من شواطئ على بحر إيجه والبحر الأبيض ، وجعلت

بلغاريا الحقيقية إمارة مستقلة استقلالاً داخلية وجعل الروماني الشرق إمارة يحكمها وال مسيحي فوافق السلطان على تعيينه .

وأخذت إنجلترا جزيرة قبرص ورضيت وعاد رئيس وزرائها دزرائيل إلى بلاده يقول (لقد حققت السلام وحيث يصلح

مشرف) وجدير بي أن أذكر أنه في ذلك التاريخ لم يكن هناك ما يدعو إنجلترا إلى أن تمادى ألمانيا ، ولكن ظهور مطامع ألمانيا

وقد وقعت تركيا بجانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، أما إيطاليا فبرغم أنها كانت حليفة لألمانيا وقتت على الحياد في أول الحرب، حتى إذا تجلب لها أن كفة الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) راجحة نكثت بمهداها وتفضت سابق تحالفها وانضمت إلى الحلفاء ١٩١٥

وقد بذل الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٨ جهودا جبارة في الدفاع عن بلادهم وأزولوا بالإنجليز حصار قاذحة في موقعة غاليليو ١٩١٦ وردوم عن بلادهم، وكذلك قضا على عدة حملات بعثت بها إنجلترا إلى العراق، ولكن تلك الجهود لم تؤثر في نتيجة الحرب فسرعان ما سقطت العراق وقتلت حملة فلسطين ومصر وتقدم الجزال ألنبي فاحتل فلسطين ١٩١٧ وتقدمت قواته فاحتلت سوريا ١٩١٨ وساءت حالة تركيا فاضطرت إلى قبول الهدنة في ٣١ أكتوبر ١٩١٨، واحتلت إنجلترا القسطنطينية وقلاع الدردنيل والواقع الحربية المسماة، وزل الفرنسيون والسنتاليون باستنبول واحتل الإيطاليون (بيرا) وخطوط السكك الحديدية. وهكذا أصبحت تركيا تحت سيطرة الحلفاء

وفي ١٠ أغسطس ١٩٢٠ أرغم مندوبو حكومة الأستانة على توقيع معاهدة سيفر وبها فقدت تركيا العراق ومصر وبلاد العرب وفلسطين وسوريا وترانيا في أوروبا

وهكذا كانت معاهدة برلين ١٨٧٨ معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية في أوروبا، وكانت معاهدة سيفر معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية في آسيا وإفريقيا

يل أكثر من هذا لقد أصبحت تركيا ذاتها موضع إذلال عتيلها وكانت الشعوب الصغيرة التي طالما خضعت لحكمها تطمع في تقسيمها والاستيلاء على أراضيها. أما كيف تخلمت تركيا من متاعها وكيف انتصرت على قاهريها فذلك ما سنفصله في حديث قادم إن شاء الله

أبراهيم عطيبة

الاستعمارية فيما بعد هو الذي أدى إلى قيام المدا بينهما، وهو الذي دعا المداوة التقليدية بين فرنسا وإنجلترا وأدى إلى قيام الصداقة بينهما، تلك الصداقة التي تجلت في وقوف جيوشها جنبا إلى جنب في الحربين العالميتين الأولى والثانية

وأما فرنسا فقد كانت جريمة كبيرة إثر هزيمتها في حرب السبعين وانتعار ألمانيا عليها واحتلالها لبلادها، ولذلك لم يكن لها نصيب يذكر فقد كان المؤتمر تحت رئاسة بسمارك عدوها الأكبر وقد كان بسمارك يعمل دائما على عزلة فرنسا ومحاول جاعدا ألا تجد لنفسها أصدقاء؛ وكان يؤمن بأن فرنسا لن تجرؤ على الوقوف في وجه ألمانيا طالما كانت وحيدة لا حليف لها

على أن سخط روسيا على ألمانيا بسبب موقفها منها في المؤتمر كان الدافع الأول إلى أن تمد روسيا يدها إلى فرنسا ١٨٩٣ وقد انضمت إليهما إنجلترا ١٩٠٧

وأما إيطاليا فقد غضبت لأن فرنسا استولت على تونس ١٨٨٢ وكانت إيطاليا تطمع فيها وبذلك انضمت إيطاليا إلى ألمانيا والنمسا، وهكذا انضمت أوروبا إلى معسكرين: إنجلترا وفرنسا والروسيا في جانب، وألمانيا والنمسا وإيطاليا في جانب آخر

والعرب غضبت لأن النمسا انتزعت منها ولايتي البوسنة والمهرسك وهي تعتبرها جزءا منها وبذلك انضمت إلى جانب فرنسا والروسيا وإنجلترا، ولقد كان اغتيال طالبين صربيين لولي عهد النمسا في ٢٨ يونيو ١٩٠٤ سبب قيام الحرب العالمية الأولى

وتركيا غضبت على أصدقائها لأن هؤلاء الأصدقاء كانوا في الواقع أعداء، وكانت مصالحهم سبب مصادقتهم، وكان أم هؤلاء الأصدقاء إنجلترا وفرنسا. أما إنجلترا فقد أخذت قبرص ١٨٧٨ واحتلت مصر ١٨٨٢، وأما فرنسا فقد استولت على تونس ١٨٨٢

وكان سلك إنجلترا وفرنسا هذا سببا في إغضب تركيا مما دفعها إلى أن تتجه شطر ألمانيا، وكانت ألمانيا قد بدأت تنير من سياستها وتمل على اتخاذ مناطق نفوذ لها فرجبت بصداقة تركيا وعملت على مد يد المونة إليها وشرعت في ربط تركيا بألمانيا وإنشاء سكة حديد برلين - بنداد مما أثار مخاوف إنجلترا